Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

عصر ابن هشام
«القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى»

لا يعزب عن البال أن العلوم والفنون ظلان تابعان للأطوار السياسية، فإذا كان الطور السياسى عنيفًا صاخبًا ذا أثر بارز فى تاريخ شعب من الشعوب فإن آثاره تبدو فى الحركة العلمية والنهضة الفكرية، وإن غشيته سكينة وسادته دعة وطمأنينة استبانت نتائجه فى العلوم والآداب.

ولقد كان بلوغ لغة الضاد قمة مجدها واستواؤها على سوقها فى ظل الخلافة الإسلامية على يد الدولة العباسية مؤذنًا بمغيب شمسها إلى حين ﴿سنة الله فى الذين خلَوا من قبل﴾ [الأحزاب: ٦٢].

* لكل شىء إذا ما تم نُقْصَان (١) *

فدهى الناطقين بها ما دهاهم من حوادث وكوارث لم يرو التاريخ لها مثيلا فى عنفها واجتياحها وسرعة تطويحها بمدنية كانت راسية الأصول سامية الفروع، ذلك الحادث المروع تمثل فى خروج التتر من عزلتهم وإغارة أبنائهم المغول على البلاد الإسلامية.

ولقد كانوا قساة عتاة غلاظ الأكباد، لم تُهذبهم شريعة، ولم تَرضهم أخلاق قويمة.

كانوا فى معزل عن العالم جنوبى سيبريا(٢) يحترفون الصيد والقنص، وكان بأسهم بينهم إلى أن قادهم فاتكٌ منهم وفارسٌ فيهم هو «جنكيز خان» الذى قهر الصين بعد أن حطم سورها العظيم، وكرَّ على الممالك الإسلامية يلتهمها واحدة تلو أخرى.

وطوعت له نفسه أن يعيث فى الأرض الفساد، فلم يغادر مدينة إلا دَمَّرَ مبانيها، وأحرق ما وصلت إليه يده من آثار علمائها، وثمرات عقول أبنائها

---

(١) بغية الوعاة ص ٦٨ .

(٢) بغية الوعاة ص ١١٠ .